مصطفى خياطي

أسرى الأمير عبد القادر

منشورات ANEP

المقدمة

بالرغم من أن القانون الإنساني الدولي أصبح مثار اهتمام في أيامنا هذه، فإن تاريخ الأمير عبد القادر مع أسراه ما يزال مجهولا. صحيح أن بضعة كتب و كثيرا من الملتقيات و اللقاءات و الندوات و المقالات تناولت هذا الموضوع، لكن الأصح هو أن الموضوع لم يوف حقه.

إن الدراسة المعمقة لما عاشه أسرى الأمير على مدار خمس عشرة سنة من المقاومة ضد أعتى جيش في العالم في ذلك الزمن، تبرز عديد الجوانب الإنسانية لدى الأمير التي كانت لا تأتي على بال في ذلك الوقت.

و لم يكن هذا السلوك الإنساني حكرا على الأمير، فقد عرف عن والدته أنها كانت تداوي الأسيرات و تواسيهن و تعد لهن الطعام و تأويهن في بيتها يحدوها في طيبة القلب و سمو الأخلاق. كما سجل هذا السلوك عند خلفاء الأمير و منهم بن علال، خليفة مليانة الذي قاد المفاوضات مع أسقف الجزائر دوبوش من أجل تحرير مائتين و خمسين أسيرا. و كان ابن علال هو نفسه الذي أسر القائد ميراندول رفقة عدد من جنوده بعد أن قطع أوصال فرقتهم، ومع ذلك عامل ميراندول Mirandol الجريح معاملة الأخ الشقيق لأخيه. و بصفته زعيم الدايرة، استقبل الأغا ميلود بن عراش أسرى سيدي ابراهيم و طمأنهم و أسكنهم مع جنوده. و استطاع الخليفة التهامي الذي خلفه في المنصب أن يفتك بدوره الاعتراف من هؤلاء الأسرى الذي قرروا الاشتراك في إهدائه مسدسين من ذهب عندما حان موعد إطلاق سراحهم.

باختصار، لقد أقر الأسرى الذين قادهم القدر الى معسكر الأمير و بالإجماع بكرمه و شهامته معهم. و من آثار سلوك الأمير هذا الذي

سحر الألباب أن الأسرى غادروا جميعهم الجزائر عقب إطلاق سراحهم و في نفوسهم حنين إلى زمنه، و الأصح أنهم شجعوا على مغادرة الجزائر إلى فرنسا خوفا من «انتشار عدوى تعاطفهم مع الجزائريين» إلى باقي الجنود. لذلك حرص البعض منهم على زيارته في معتقله بفرنسا بينما طالب بعضهم الآخر بتحويلهم إلى خدمة الأمير بل و هناك من تبعه إلى بلاد المشرق التي اختارها كآخر ملاذ.

لم يكن الرفض الفرنسي المتواصل لفكرة تبادل الأسرى راجعا إلى أسباب سياسية فقط، إنما إلى تخوف الفرنسيين من شخصية الأمير القوي فأكثر ما كان يخشاه هؤلاء هو إعطاء الأمير صفة المفاوض مرة أخرى، و هو ما كان سيساعده في تأليب المزيد من القبائل ضد الوجود الفرنسي في الجزائر. و كان هناك أسباب أخرى غير معلنة نذكر منها الخوف من تأثير الأسرى المحررين بطريقة سلبية على الروح القتالية لدى القوات الاستعمارية فضلا عن التخوف من كثرة عمليات التبادل لأنها ستكشف العدد الحقيقي للجنود الأسرى و في ذات الآن تبرز التفوق العسكري للأمير، إلى جانب التخوف من التفاوض بصفة الند للند مع عدو كانوا يريدون سحقه.

لكن الأمير رد على هذا الرفض المتكرر بمروءة نادرة عندما قرر إطلاق سراح أسراه بلا مقابل، و قد أكد فيما بعد أنه «سلم ما يفوق المائة أسير للجنرال بيجو Bugeaud» . كما استفادت مجموعة أخرى من الأسرى من الإفراج و أرسلت بعد ذلك إلى المغرب، بينما سلمت مجموعة ثالثة إلى الإسبان بمدينة مليلة.

و على كثرتها تكتمت المؤلفات الفرنسية الصادرة في ذلك الوقت على عدد الأسرى لدى الأمير من 1832 إلى 1847، و فضلت التركيز على كل ما له صلة بتمجيد جيش إفريقيا مثل كتاب م. أ دو فرانس .M. A de France الذي تحدث عن أسره، و شجاعة إيسكوفييه Escoffier

الجندر نافخ البوق، و رسالة مساعد المتصرف ماصو .Massot و كانت الإصدارات المطنبة في الإطراء أكثر عددا و ضخامة على شاكلة كتاب إيرنست ألبي » Ernest Alby تاريخ الأسرى الفرنسيين في الجزائر Histoire des prisonniers français en Afrique و قد صدر في جزأين و كذلك كتابه «الصلوات المغربية» Les vêpres marocaines الذي صدر أيضا في جزأين.

كم بلغ عدد الأسرى الفرنسيين خلال هذه الفترة؟

على أقل تقدير، كان عددهم يقارب ألفي أسير استقبلتهم تلمسان و معسكر و المدية و ندرومة و تاقدمت و مليانة و تازة.

فبتاريخ 19 مايو 1841، شهدت منطقة سيدي خليفة بالقرب من بوفاريك إطلاق سراح حوالي مائتي أسير فرنسي. و بعد أربعة أسابيع تقريبا أي بتاريخ 15 جوان اتخذ الأمير قرارا من تلقاء نفسه و بلا مقابل يقضي بإخلاء سبيل ستة و خمسين أسيرا فرنسيا ببلدة الكرمة بالقرب من وهران. و لم تكن هذه المجموعة المتكونة من مائتين و ستة و خمسين أسيرا تمثل مجموع الأسرى الفرنسيين باعتبار أن ما يقارب المائة جندي مكثوا في المعسكر العربي لأسباب عديدة منها تفضيل الخدمة في مصانع الأسلحة المختلفة و منها كذلك رفض الالتحاق بالمعسكر الفرنسي.

و مما يذكر أن عددا كبيرا من الأسرى توفوا جراء الأمراض التي أصابتهم، و حسب مساعد المتصرف ماصو Massot الذي كان أسيرا بعاصمة الأمير تاقدمت فإن « 43 أسيرا من مجموع 97 أسيرا لقوا حتفهم عام 1841 » (طالع: ع. زوزو، مراسلات الأمير، دار هومة، الجزائر 2003، ص. 123). و تبقى حالات الإعدام التي نفذها «العرب» بسبب الفرار كما وقع في الحالتين اللتين ذكرهما برندت Berndt بتلمسان [1]

عبد القادر أو ثلاث سنوات من الأسر)، و م. أ. دو فرانس في الدايرة عام 1843 حالات نادرة، و مثلها حالات الذين حكم عليهم بالإعدام بسبب التخابر مع العدو كما وقع في الحالة التي ذكرها ماصو بمدينة تازة: «كان تكليفي بمثل هذه المعلومات يشكل خطرا على حياتي خصوصا و أن المدعو زييكي Zieschi الذي كان مقيما بالحصن الذي أقمت به منذ ثمانية أشهر قد جرّ نفسه الى الموت لأنه قام بتدوين بعض المعلومات و البيانات» (طالع ع. زوزو، مرجع سابق، ص. 131).

و حسب العقيد سكوت فإن ما يقارب الثمانين أسيرا فرنسيا من ضباط و ضباط صف و جنود كانوا متواجدين بتلمسان في نهاية أبريل 1841. إلا ان أغلب الأسرى كانوا متواجدين بتاقدمت و تازة[2] مذكرات العقيد سكوت حول إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة لعرابي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1980، ص. 68).

و كان يوجد من بين أسرى تلمسان جنود إسبان ينتمون إلى اللفيف الأجنبي، إلى جانب خمسة مالطيين ادعوا أنهم من جنسية إنجليزية و كانوا لا يحسنون الإنجليزية و لا يتكلمون إلا الإيطالية. و قد اتصل هؤلاء بالعقيد سكوت Scott طالبين منه التوسط لهم لدى الأمير من أجل استبدالهم، و كتب هذا الأخير إلى الأمير و شجعه على استبدال الأسرى الذين «لا أهمية» لهم و مع ذلك يثقلون ميزانية الدولة بينما يمثل الجنود «العرب» الذين يستبدلون بهم مكسبا في الساحة العسكرية (العقيد سكوت، مرجع سابق، ص. 68)، و كان سكوت يجهل حينئذ أن عملية تبادل كانت على وشك الإتمام. و بالفعل، كانت مجموعة من الأسرى قد غادرت تلمسان يوم 24 ابريل 1841 متوجهة إلى تاقدمت حيث كان مقررا جمع كافة الأسرى المعنيين بالعملية قبل تسليمهم إلى خليفة مليانة الذي كلفه الأمير بهذه المهمة. (العقيد سكوت، مرجع سابق، ص. 99)

لكن هناك الكثير من الأسرى الذي ألقي عليهم القبض في تلك الفترة و أثناء الأشهر التي تلت و لم تشملهم عملية التبادل. و قد سجل العقيد سكوت في مذكراته تفاصيل عن الأسرى الذين سيقوا إلى تاقدمت إذ ذكر أن الخليفة بن علال فاجأ موكبا عسكريا و هو في طريقه من الجزائر إلى البليدة و أسر سبعة عشر جنديا وصل بهم إلى تاقدمت يوم 6 مايو (العقيد سكوت، مرجع سابق، ص. 83)، و أن ستة جرحى نقلوا ليلة 25 مايو إلى معسكر الأمير بعد أن تخلى عنهم الجيش الفرنسي توفي أحدهم عقب الوصول في حين استفاد البقية من العلاج إلى أن تعافوا. وفي 10 جوان سجل قدوم ستة عشر جنديا تم أسرهم بنواحي مليانة وألقي القبض على أربعة عشر آخرين بمنطقة معسكر. و بتاريخ 17 جوان أسر الخليفة بوحميدي خمسة آخرين و بعد بضعة أيام شن الخليفة بن التهامي هجوما على مستغانم و أسر ثلاثة عشر جنديا أضاف إليهم بوحاميدي ستة عشر جنديا آخرين يوم 8 جويلية على مداخل معسكر و كانوا من الجنود الذي خرجوا من المواقع التي كانوا متخندقين بها لجلب العلف. و في 19 جويلية ألقي القبض على يهوديين و عامل بمطاعم الجيش الفرنسي بالقرب من وهران... لم يكن يمر أسبوع إلا ويؤسر فيه المزيد من الجنود.

الحياة في سجون الأمير

ما يلفت الانتباه هو أن مواقف الأمير لم تكن استثنائية بل تكررت مع عديد الأسرى على غرار ما حدث مع موريس Meurice المهندس المعماري العامل في مصلحة مسح الأراضي عام 1835، وضابط البحرية م. ا. دو فرانس في ذات العام، و نافخ البوق إيسكوفييه عام 1843 و كذلك المقدم كونيور Cognord عام 1845. فكان هؤلاء الأسرى يعاملون معاملة الضيوف يتنقلون بكل حرية داخل المدينة أو الدايرة

و يأكلون مما يأكل جنود الأمير و يتلقون أجورهم لقاء الأشغال التي يقومون بها. و من شدة احترامه للأطباء قرر الأمير عدم تجريد الطبيب الأسير كاباص Cabasse (ما بين 1845 و 1846) من حصانه و بندقيته بل إن هذا الطبيب كان مرخصا له بالخروج دون قيد من المعسكر و حتى بالابتعاد عنه.

و قد تحدث العقيد سكوت في مذكراته ،التي سرد فيها مقامه بزمالة الأمير، عن الأسرى و عن ظروف أسرهم فقال إن عددهم قارب الثمانين أسيرا فرنسيا بتلمسان. و قد أذن لأحدهم و هو نقيب في فرقة المشاة بالجيش الفرنسي بمساعدة الاسباني دو خوسي المكلف بصنع المدافع في عمله، و رخص له الخليفة بوحاميدي بالإقامة مع دون خوسي هذا و لما كان مولعا بالصيد فقد ترك له بندقيته فكان كثيرا ما يخرج للصيد بضواحي تلمسان الزاخرة بمختلف أنواع الطيور حتى أنه رجع ذات يوم و هو يحمل اثنتين و ثلاثين حجلة. و أضاف سكوت أنه كان يسمح لجميع الأسرى بالتنقل بكل حرية داخل الدايرة علما أن أية محاولة للفرار كانت تعرض صاحبها للموت على يد أي شخص يصادفه خارج المدينة لأن سكان الأرياف كانوا يعلمون أن من لا يحمل ترخيصا هو حتما شخص يحاول الفرار.

هذه الإجراءات المتسمة بمرونة كبيرة في معاملة الأسرى كانت مطبقة أيضا بمدينة معسكر قبل استيلاء الجيش الفرنسي عليها و بتاقدمت و تازة و مليانة و المدية و غيرها من المدن: « إنني مرتاح للطريقة التي يعامل بها الأسرى في معسكر الأمير و معجب بها. إنها دليل على زيف التقارير التي تزعم أن الأسرى لا يحظون بأي احترام أو تقدير من قبل العرب. لقد اصدر الأمير أمرا بمنع المساس بالأسير الحي منعا باتا. و ما الخرق الذي سجل في بعض الحالات إلا ردا على الوحشية التي انتهجها الفرنسيون في حملاتهم العسكرية.(العقيد سكوت، مرجع سابق)

تباين الحكم على المشاعر الإنسانية

في الحروب الكلاسيكية التي كانت تقوم في ذلك الوقت، كانت نسبة الجرحى إلى الموتى تعادل أربعة لواحد، لكن الغزو الاستيطاني في الجزائر قلب هذه النسبة فأصبح عدد الموتى يفوق عدد الجرحى. و نتيجة لخرق معاهدة التافنة و سياسة الاستيطان الشامل التي اعتمدتها فرنسا كان عدد القتلى هو العدد الوحيد الذي تذكره البيانات الرسمية الفرنسية، و كان الحديث عن الأسرى يعني في غالب الأحيان المدنيين الذين جعلت منهم صلة القرابة بالأمير أو خلفائه أسرى من طراز خاص، كما كان الحال مع أسرى الزمالة الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف أسير و غيرهم ممن تم نفيهم الى جزيرة سانت مارغوريت Sainte Marguerite او شبه جزيرة سات Sète أو غيرهما.

في اطار هذه السياسة الاستيطانية الشاملة تخلت ممارسات الجيش الفرنسي بإشراف رجل واحد عن أي حس أخلاقي بارتكابها مختلف أنواع الجرائم بدءا بالإبادة و وصولا إلى الجرائم ضد الإنسانية و جرائم الحرب. حتى أن القبض على الأمير عبد القادر ذلك « العدو العنيد» ميتا أو حيا وضعت له مكافأة قدرها 100.000 فرنك فرنسي، أما الأشخاص أو القبائل التي تنصر الأمير فكان مصيرها العقاب الشديد إن لم يكن التقتيل.

في المقابل كان الأمير، الذي لم يشعر اتجاه الأسرى إلا بالرأفة و الشفقة، يسعى جاهدا للحفاظ على حياتهم و استبدالهم، و لم يكن ذلك حال أعدائه الذين كانوا يتجنبون الأسر إلا إذا كانت لديهم حسابات سياسية.

فمبناسبة عملية التبادل الهامة التي قام بها الطرف الفرنسي بإشراف أسقف مدينة الجزائر لم يتحمس العساكر الفرنسيون، رغم

الموافقة التي أعطوها، لإتمام العملية و كادوا يلغونها إذ أمروا قواتهم بالقيام بحركات استفزازية بالمكان الذي كان سيتم به التبادل. و مع ذلك تجاهل الجزائريين تلك الاستفزازات التي لم يعتبروها إهانة و أتموا العملية.

و كانت عملية التبادل في حد ذاتها غير متكافئة لا كيفا و لا كما بحيث أن مجموعة الأسرى الذين أطلق سراحهم بسيدي خليفة ضمت ضباطا و ضباط صف و جنودا و بعض المدنيين. و في المقابل كان الأسرى الجزائريون من المدنيين و النساء والأطفال والجرحى من بينهم ثلاثون رجلا فقط أغلبهم مدنيون. وبتسامحه المعهود قبل الأمير هذا التبادل قائلا إنه لن يمس بسمعته ويأخذ بدلا منهم أسرى اقل منهم مرتبة. الملاحظة نفسها تنطبق على عدد الجزائريين الذين كان عددهم في عملية سيدي خليفة اقل من عدد الفرنسيين (126 مقابل 200) بل إن الأمير، و بعد إلحاح أسقف الجزائر الذي أرسل ممثله الأب سوشي Suchet، أبدى مزيدا من النخوة وأطلق سراح ستة و خمسين أسيرا فرنسيا آخر بلا مقابل. و قد علم الخليفة بن علال و هو في طريق العودة من عملية التبادل بأن رجاله اسروا ليلتها أربعة أسرى فقرر هو الآخر إطلاق سراحهم و إرسالهم إلى بوفاريك معتبرا إياهم معنيين بالتبادل لأنهم اسروا قبل إتمام العملية.

و زيادة على ذلك لم يشأ الأمير معاملة الفرنسيين بالمثل و هم الذين لم يترددوا في نفي أهله و أهل رفاقه إلى جزيرة مارغوريت و فيها عاشوا الأمرين، كما لم يتحرجوا من إرسال بعض المقربين منه و جنوده و ضباطه الى شبه جزيرة سات حيث حكم عليهم بالأشغال الشاقة إلى غاية وفاتهم، أو إلى جزيرة كورسيكا التي لقوا فيها حتفهم جراء الإمراض و سوء التغذية و شدة الضغوط.

الخاتمة

سيحفظ التاريخ و بالأدلة القاطعة أن الأمير عبد القادر كان باعث القانون الإنساني الدولي. و السؤال الذي يطرح نفسه اليوم هو لماذا تماطل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الاعتراف له بهذا الفضل.

الفهرس

المقدمة 05

الظروف التاريخية لبروز عبد القادر 14

من هو عبد القادر؟ 15

الهدف: بناء دولة حديثة 16

هيكلة الدولة 18

جيش مقاومة 19

أعراف الحرب و الجهاد عند عبد القادر بن محي الدين 21

عادات و تقاليد القبائل الجزائرية 21

الأمير يعلن الجهاد 23

الأمير يلتزم بما تنص عليه الشريعة في ظروف الحرب 23

الأمير يستلهم من الإسلام في سن قواعد لحماية أسرى الحرب 25

الأمير و احترام المدنيين 25

أول مجموعة من الأسرى العسكريين و معاهدة ديميشال Desmichels 27

محاصرة الأمير للحاميات الفرنسية 27

ديميشال يبحث عن منفذ 28

أول الأسرى العسكريين الفرنسيين 29

التفاوض حول اتفاق للسلم 33

قانون حماية الأسرى 38

تاريخ صدور قانون حماية الأسرى 39

معاملة الأسرى الفرنسيين 41

قانون حماية الأسرى 41

شهادة أسقف الجزائر 42

عرفان بلمار 43

خرق معاهدة ديميشال: استئناف الحرب 45
أسرى مرحلة ما بعد الخرق 47
عدد الأسرى 47
تاريخ الأسرى من فترة استئناف الحرب في جويلية 1835 إلى غاية معاهدة التافنة
الأسرى الألمان 49
الأسرى الفرنسيون 60
أسرى جزيرة سردينيا 65
الأسرى العسكريون الفرنسيون 67
إعداد معاهدة التافنة 71

العملية الثانية لتبادل للأسرى 73
التفاوض حول التبادل 73
تبادل الأسرى 74
بداية و نهاية أول عملية تبادل 77

الإفراج عن أسرى معركة السكاك من العرب 79
معركة السكاك 79
أغلب الأسرى جرحى 81
الأسرى الجزائريون في مرسيليا 82
خبايا الإفراج عن أسرى السكاك 83

خرق معاهدة التافنة و عملية التبادل الثالثة 88
أسباب فشل معاهدة التافنة 89
عدد الأسرى الفرنسيين 91
رسالة الأسقف دوبوش Dupuch و بدء التفاوض 93
مواصلة التفاوض بين بن علال و سوشي 95
مراحل عملية التبادل حسب رواية داغري 97
الجيش الفرنسي يحاول إفشال عملية التبادل 100

العدد الحقيقي للأسرى المفرج عنهم في هذه العملية 102

العملية الرابعة لتبادل الأسرى 105
أسرى ويزرت عام 1843 105
عمل بطولي يخلد إيسكوفييه 106
التبادل الرابع 107
وفاء إيسكوفييه للأمير 108
الرفض الفرنسي لتبادل الأسرى 108
لماذا رفض التبادل؟ 110
السلطات الاستعمارية تعارض إرسال مرشد روحي 111

الإفراج غير المشروط عن الأسرى من طرف الأمير 113
عملية الإفراج الأولى عن الأسرى 113
العملية الثانية 115
العملية الثالثة 116
عمليات أخرى 118
الخاتمة 118

العواقب الوخيمة لرفض التبادل 119
أسرى سيدي إبراهيم 120
أسرى عين تموشنت 122
أسرى آخرون 123
رفض التبادل و بداية المأساة 123
جدل حول مسؤولية الأمير 128
التعقيب على مؤلف كتاب (أسرى عبد القادر) 133

الأمير و أسراه 135
منع المساس بحياة الأسرى 135

تبادل الأسرى..... 136
دوبوش..... 136
فويو..... 136
العقيد تشرشل..... 137
بلمار..... 138

الأمير و الأسيرات..... 141
دور لالّة زهرة، والدة الأمير..... 141
دور لالّة خيرة زوجة الأمير و لالّة خديجة شقيقته..... 142
دور زوجات خلفاء الأمير..... 142
جولييت و والدتها: وضع خاص..... 143

حماية الأسرى..... 145
رعاية الأسرى..... 145
حماية الطاقم الطبي الأسير..... 146
منع سوء معاملة الأسرى..... 146
الرأفة بالأسرى..... 149
منع التنكيل بجثث الأعداء..... 149

امتنان الأسرى الفرنسيين..... 152
النقيب ميراندول..... 152
النقيب لازاري..... 153
نافخ البوق إيسكوفييه..... 153
الجندي تستار..... 153
إيبوليت لونغلوا..... 153
مساعد المتصرف ماصو..... 153

الأمير عبد القادر والقواعد العرفية للقانون الدولي الإنساني..... 155
التمييز بين المدنيين والمقاتلين..... 155

التمييز بين الممتلكات المدنية و الأهداف العسكرية..... 156
التناسب في الهجوم..... 156
الاحتياطات من آثار الهجمات..... 156
الأعوان و الممتلكات الطبية و الدينية..... 157
رفض الإبقاء على الحياة..... 158
التجويع و الحصول على المساعدات الإنسانية..... 158
الخداع..... 158
الاتصالات مع العدو..... 159
السم..... 159
معاملة المدنيين والأشخاص العاجزين عن القتال..... 159

الضمانات الأساسية..... 160
المقاتلون و وضع أسير الحرب..... 162
الجرحى والمرضى والغرقى..... 162
الأشخاص المحرومون من حريتهم..... 163
احترام القانون الدولي الإنساني..... 165
تدابير ضمان احترام القانون الدولي الإنساني..... 165
المسؤولية الفردية..... 166
الخاتمة..... 166

الملحقات..... 167
الملحق 1: الرسائل المتبادلة بين الجنرال ديميشال و الأمير بشأن التبادل الاول للأسرى..... 167
الملحق 2: معاهدة السلم المعروفة بمعاهدة ديميشال..... 177
الملحق 3: رسالة كافينياك إلى كونيور بشأن تبادل الأسرى..... 178
المراجع..... 180

أسرى الأمير عبد القادر

لقد أقر الأسرى الذين قادهم القدر إلى معسكر الأمير وبالإجماع بكرمه وشهامته معهم. ومن آثار سلوك الأمير هذا الذي سحر الألباب أن الأسرى غادروا جميعهم الجزائر عقب إطلاق سراحهم وفي نفوسهم حنين إلى زمنه، والأصح أنهم شجعوا على مغادرة الجزائر إلى فرنسا خوفا من "انتشار عدوى تعاطفهم مع الجزائريين" إلى باقي الجنود. لذلك حرص البعض منهم على زيارته في معتقله بفرنسا بينما طالب بعضهم الآخر بتحويلهم إلى خدمة الأمير بل وهناك من تبعه إلى بلاد المشرق التي اختارها كآخر ملاذ.

ولم يكن الرفض الفرنسي المتواصل لفكرة تبادل الأسرى راجعا إلى أسباب سياسية فقط، إنما إلى تخوف الفرنسيين من شخصية الأمير القوي فأكثر ما كان يخشاه هؤلاء هو إعطاء الأمير صفة المفاوض مرة أخرى، وهو ما كان سيساعده في تأليب المزيد من القبائل ضد الوجود الفرنسي في الجزائر. وكان هناك أسباب أخرى غير معلنة نذكر منها الخوف من تأثير الأسرى المحررين بطريقة سلبية على الروح القتالية لدى القوات الاستعمارية، فضلا عن التخوف من كثرة عمليات التبادل لأنها ستكشف العدد الحقيقي للجنود الأسرى وفي ذات الآن تبرز التفوق العسكري للأمير، إلى جانب التخوف من التفاوض بصفة الند للند مع عدو كانوا يريدون سحقه.

9 789947 216262